الدرس 2 التعريف بالمنظومة

أهداف الدرس

- أن أدرك أهمية العلم وشرفه.
- أن أتبين فائدة المنظومات التعليمية في تقريب القواعد.
- أن أتعرف منظومة مرتقى الوصول لابن عاصم.
- أن أقدر جهود علماء الإسلام في خدمة الدين علما وتربية.

تمهيد

علم أصول الفقه من العلوم الضرورية لفهم النصوص الشرعية، واستنباط الأحكام وتنزيلها على الوقائع المستجدة التي تتطلب حكما شرعيا. فهو المصباح الذي بضوئه يستهدي المجتهدون.

وقد ألفت فيه منذ الإمام الشافعي (ت204هـ) إلى اليوم مؤلفات مفيدة، وتعتبر منظومة: مرتقى الوصول إلى الضروري من الأصول للإمام ابن عاصم -رحمه الله- من أحسن الأنظام الأصولية التعليمية وأشملها.

فما هدف الناظم من نظمه؟ ولماذا لم يجعل مؤلفه منثورا؟ وما المباحث التي تناولها في المنظومة؟

المتن

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ أَجَلُّ مُعْتَنَى *** بِهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ مِنْهُ يُجْتَنَى
وَالنَّظْمُ مُدْنٍ مِنْهُ كُلّ مَا قَصَى *** مَذَلِّلٌ مَنْ مُمْتَطَاهُ مَا اعْتَصَى
فَهْوَ مِنَ النَّثْرِ لِفَهْمٍ أَسْبَقُ *** وَمُقْتَضَاهُ بِالنُّفُوسِ أَعْلَقُ
لِذَا اسْتَعَنْتُ اللَهَ فِي تَيْسِيرِ *** عِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ بِالتَّقْرِيرِ
فِي هَذِهِ الأُرْجُوزَةِ الْمَشْطُورَهْ *** فَهْيَ عَلَى تَأْصِيلِهِ مَقْصُورَهْ

حَاشَـيْتُهَا مِـنْ لُغَـةٍ وَمَنْطِـقِ *** حِرْصًا عَلَـى إِيضَاحِ أَهْـدَى الطُّرُقِ
إِلاَّ يَسِـيرًا مِـنْ مُقَدِّمَـاتِ *** تُفِيـدُ فِي مَسَـائِلِ سَـتَاتِي
فَاسْـتَكْمَلَتْ عِدَّتُهَـا خَمْسِـينَا *** تَالِيَـةً ثَمَانِيًـا مِئِينَـا
وَعِنْدَمَـا تَمَّـتْ بِهَـا الْمَقَاصِـدُ *** وَمَهَّـدَتْ بُنْيَانَهَـا الْقَوَاعِـدُ
سَـمَّيْتُهَا بِمُرْتَقَـى الْوُصُـولِ *** إِلَى الضَّـرُورِيِّ مِـنَ الأُصُـولِ
وَمَـا بِهَا مِـنْ خَطَـإٍ وَمِـنْ خَلَلْ *** أَذِنْـتُ فِي إِصْلاَحِـهِ لِمَـنْ فَعَـلْ
لَكِـنْ بِشَـرْطِ الْعِلْـمِ وَالإِنْصَافِ *** فَـذَا وَذَا مِـنْ أَجْمَـلِ الأَوْصَافِ
وَاللَّـهُ يَهْـدِي سُـبُلَ السَّـلاَمِ *** سُـبْحَانَهُ بِجَبْلِـهِ اعْتِصَامِـي

الفهم

الشرح:

مُدْنٍ: من الدنو، وهو القرب، أي يقرب المعاني البعيدة.

اعتصى: تمنع وعسر فهمه، وثقل حفظه.

المشطوره: أي ذات شطرين.

مقصـورة: من القصر، وهو الحصر والحبس.

حاشيتُها: نزهتها، ولم أذكر فيها.

الإنصـاف: المعاملة بالعدل والقسط.

استخلاص المضامين:

1. أستخرج من الأبيات ثمرة النظم وفضله على النثر.
2. أقدم تعريفا للمنظومة من خلال الأبيات أعلاه.
3. أستخلص من كلام ابن عاصم أدبه الواسع، وتواضعه الجميل.

التحليـــل

تناول الناظم – رحمه الله – في هذه الأبيات القضايا الآتية:

أولا: فضل العلم

العلم أشرف ما يطلب، وأغلى ما تنفق فيه الأوقات، وتبذل في سبيله الأموال، وقد حث الإسلام على طلبه، ووعد عليه الأجر الجزيل والمنزلة الرفيعة، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ

﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]. وأمر بطلب الزيادة في العلم وحده من دون غيره فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:111].

وفي ذلك يقول الناظم رحمه الله:

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ أَجَلُّ مُعْتَنَى *** بِهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ مِنْهُ يُجْتَنَى

ثانيا: فائدة نظم العلوم

اختار ابن عاصم رحمه الله أسلوب النظم لما له من فوائد منها:

- أن النظم مقرب للعلوم نظرا ليسره وسهولته.
- أنه أعلق بالذهن، وألصق بالذاكرة من النثر؛ لسهولة حفظه وتذكره.
- ولهذه الفوائد والمقاصد نظم العلماء العلوم، ووضعوا المنظومات المفيدة، مثل: «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام» لابن عاصم، و«ألفية ابن مالك» في النحو والصرف، و«الرسموكية في الميراث» لأحمد بن سليمان الرسموكي وغيرها، والناظم آتاه الله ملكة النظم، فكانت جل مؤلفاته نظما، قال رحمه الله:

وَالنَّظْمُ مُدْنٍ مِنْهُ كُلّ مَا قَصَى *** مَذَلِّلٌ مَنْ مُمْتَطَاهُ مَا اعْتَصَى
فَهْوَ مِنَ النَّثْرِ لِفَهْمٍ أَسْبَقُ *** وَمُقْتَضَاهُ بِالنُّفُوسِ أَعْلَقُ

ثالثا: تعريف الناظم بمنظومته

1. هدف الناظم من المنظومة:

ذكر الناظم رحمه الله أن الهدف من منظومته الرجزية هو تيسير علم أصول الفقه، وبيان مسائله.

2. مباحث المنظومة:

قصر الناظم رحمه الله منظومته على تقرير قضايا الأصول، فلم يذكر فيها المباحث التي ليست من صميم علم الأصول، ولا يقف عليها بيان مسائله، فضرب صفحا عن قضايا المنطق واللغة التي

يأتي بها بعض المؤلفين في كتبهم إلا بعض المقدمات التي يتوقف عليها فهم مباحث علم الأصول، من قبيل أقسام الدلالة، والمدركات العقلية، وغيرها.

3. عدد أبيات المنظومة:

ذكر الناظم رحمه الله أن عددها ثمانمائة وخمسون بيتا، وهذا على سبيل التقريب؛ ذلك أن عدتها كما في نسخها: تسعة وأربعون وثمانمائة.

وإلى هذا المعنى يشير الناظم رحمه الله في قوله:

لِـذَا اسْـتَعَنْتُ اللـهَ فِي تَيْسِيرِ *** عِلْـمِ أُصُـولِ الْفِقْـهِ بِالتَّقْرِيـرِ
فِي هَـذِهِ الأُرْجُـوزَةِ الْمَشْـطُورَهْ *** فَهْـيَ عَلَـى تَأْصِيلِـهِ مَقْصُـورَهْ
حَاشَـيْتُهَا مِـنْ لُغَـةٍ وَمَنْطِـقِ *** حِرْصًا عَلَى إِيْضَاحِ أَهْدَى الطُّرُقِ
إِلاَّ يَسِـيـــرًا مِـــنْ مُقَـدِّمَـــاتِ *** تُفِيـد فـــــي مَسَـائِلِ سَـتَاتِي
فَاسْتَكْمَـلَـتْ عِـــدَّتُـــهَا خَـمْسِـينَا *** تَالِـيَـــةً ثَمَـانِـــيًا مِئِـيـنَـــا

4. اسم المنظومة:

نص الناظم رحمه الله على الاسم الذي اختاره لمنظومته وهو: **مرتقى الوصـول إلى الضروريِّ من الأصـول**، وتنصيص الناظم في الاسم على أن النظم مشتمل على الضروري فقط هو من باب التواضع الذي جبل عليه ابن عاصم رحمه الله، كما هو جلي من خلال هذه المقدمة، وإلا فأغلب المباحث الأصولية مذكورة في المنظومة والله أعلم. وفي ذلك يقول الناظم رحمه الله:

وَعِنْدَمَـا تَمَّـتْ بِهَـا الْمَقَاصِـدُ *** وَمَهَّـدَتْ بُنْيَانَهَـا الْقَوَاعِـدُ
سَـمَّيْتُهَا بِمُرْتَقَـى الْوُصُـولِ *** إِلَى الضَّـرُورِيِّ مِـنَ الأُصُـولِ

رابعا: أدب الناظم وتواضعه

أذن الناظم رحمه الله لقارئ المنظومة أن يصلح ما فيها من أخطاء، وهذا من تواضعه الجم وأدبه الرفيع، ذلك أن الإنسان معرض للوقوع في الخطإ والزلل بحكم بشريته، ولقد قال الرسول ﷺ:« كل بني آدم خطاءون، وخير الخطائين التوابون».[أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض].

غير أن الناظم رحمه الله اشترط في مريد الإصلاح لما يعتقده خللا في المنظومة أن يتحلى بحلية العلم وشيمة الإنصاف اللتين تقيان الرجل من الحكم بجهل، أو الظلم في الحكم.

وكم من عائب قولا صحيحا *** وآفته من الفهم السقيم.

قال الناظم رحمه الله:

وَمَا بِهَا مِنْ خَطَإٍ وَمِنْ خَلَلْ *** أَذِنْتُ فِي إِصْلاَحِهِ لِمَنْ فَعَلْ
لَكِنْ بِشَرْطِ الْعِلْمِ وَالإِنْصَافِ *** فَذَا وَذَا مِنْ أَجْمَلِ الأَوْصَافِ
وَاللهُ يَهْدِي سُبُلَ السَّلاَمِ *** سُبْحَانَهُ بِحَبْلِهِ اعْتِصَامِي

التقويم

- أملأ الجدول الآتي بعد نقله في دفتري بما يناسب:

اسم المنظومة	ناظمها	عدد أبياتها	هدف الناظم منها	خصائصها

الاستثمار

أتعاون مع أصدقائي في الفصل – تحت إشراف الأستاذ (ة) – على إعداد لائحة بأسماء الكتب الأصولية المالكية، ثم أتقاسمها معهم؛ للاستفادة منها في تنمية المعارف وتوظيفها في البحوث المنجزة.

الإعداد القبلي

1. أحفظ أبيات الدرس القادم.
2. أعرّف الفقه وعلم الأصول.
3. أبحث عن المدركات العقلية الأولية، وأصنفها.